سيدي لخضر بن خلوف كشخصية كاريزمية وأثرها على المعتقد الشعبي

Sidi Lakhdar Bin Khalouf As a charismatic figure and its impact on popular belief

أ.خديجة بغدادي، جامعة وهران 2- الجزائر

أ.نسيمة قلو، جامعة وهران 2- الجزائر

Baghdadi Khadija, University ORAN 2 - ALGERIA

Kellou Nassima, University ORAN 2 - ALGERIA

ملخص: لا يزال المجتمع الجزائري يتمسك ببعض المعتقدات المتعلقة بالمقامات الخاصة بالأولياء الصالحين والأضرحة بالرغم من الحركة التصنيعية الملموسة التي عرفتها الجزائر في القرن 20م، وكذا انتشار مظاهر الحداثة، وسيدي لخضر بن خلوف أحد المقامات التي لاتزال تحظى بهالة من التقديس في المجتمع المستغانمي على الوجه الخصوص، و الدراسة الحالية تحاول معرفة سرّ الظاهرة الأوليائية ثقافيًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا، وذلك من خلال تحليل العلاقة بين الضريح كقطب رمزي له دلالة خاصة، وبين الولي كمدلول عن طريق تحليل ما روي لنا عن كراماته وما نسجته الذاكرة الشعبية من أساطير حوله، ومحاولة فهم سرّ تواصل وبقاء الحاجة إلى زيارة سيدي لخضر بن خلوف وإيمان الناس العميق بقدراته.

الكلمات المفتاحية: الضريح، المعتقد، الولي، الكرامة، الهيمنة الكاريزمية.

Abstract: Algerian society still adheres to some beliefs regarding the shrines of the righteous saints and shrines despite the tangible industrialization movement that Algeria has known in the 20th century AD, as well as the spread of manifestations of modernity, and Sidi Lakhdar Ibn Khallouf is one of the Mausoleums that still have an aura of reverence in the Mostaghanem community in particular and study The present tries to know the secret of the religious phenomenon culturally, socially and psychologically, by analyzing the relationship between the Mausoleum as a symbolic pole with a special significance, and between the saint as a signified by analyzing what was told to us about his dignities and the myths woven by popular memory around him, and trying to understand the secret of continuity and the survival of the need for a visit Sidi Lakhdar Bin Khalouf and people's deep belief in his capabilities.

Keywords: Mausoleum, Belief, Guardian, Dignity, Charismatic dominance

مقدمة:

تعد هيمنة الأضرحة على السلوك الديني والمرجعية الدينية لدى أفراد المجتمع الجزائري عملية مقدسة و كبيرة و هذا لا يتجاهله الباحث الأنثروبولوجي حيث أن الأضرحة سمة اعتقاديه ثقافية(فراحزينب،2011،ص33)، وهي تختلف من منطقة لأخرى وتظهر وظيفتها الاجتماعية والثقافية والدينية في بنية المجتمع الذي تحي فيه، وتختلف هذه الوظائف حسب خصوصية الولي الصالح ونسبه وبركته وكرامته وتخصصه ودوره في إقليمه الذي يتربّع فيه، وهذا يحدد نوع وطبيعة الطقوس والممارسات الاعتقادية التي يقوم بها أفراد منطقة أو بيئة معينة اتجاه الولي الذي يتواجد بها ويقضي حوائجهم.

ولأنّ زيارة الأضرحة ليست بالظاهرة الجديدة على المجتمع؛ بل هي ضاربة في أعماق الثقافة الجزائرية، وهي جزء من تكوينه الاجتماعي، لذلك يمكن اعتبار شخصية الولي في الغالب هي شخصية دينية هامة أو شيخ صوفية أو مؤسس زاوية. وبشكل عام تنطوي هذه الظاهرة على مكوّنين أساسيين لا غنى لأحدهما على الآخر، وهما الممارسات الطقوسية من جهة والضّريح باعتباره قطب رمزي دال له خصوصيته التي تميزه (بوخضرة معمر،2012، ص 20)، والطقوس كسلوك اجتماعي هي ترجمة لأفكار ومعتقدات تبلورت حول شخصية الولي صنعت هالةً من التقديس لا تزال الأجيال تتوارثها جيلا عن جيل، تتقلص حينا وتتمدّد في الكثير من الأحايين الأخرى، وتأثره بتعاقب السُّنُون والعصور.

مشكلة البحث:

عند تقديس الإنسان للأضرحة والمقامات الخاصة بالأولياء والصالحين تصبح لزيارتها غايات مختلفة متعلقة بعقليّة ساذجة أو تفكير بسيط أو إلى مسألة متوارثة حيث يصّعب الفصل بين الإيمان بالأضرحة و بإمكانية تأثيرها على معتقدات الإنسان و سلوكياته، فما الذي يجعل المجتمع الجزائري يتمسك بهذه المعتقدات بالرغم من الحركة التصنيعية الملموسة التي عرفتها الجزائر في القرن 20م، وكذا انتشار مظاهر الحداثة كارتفاع المستوى التعليمي و تنوع مرافق الاهتمام بالفرد و نوعية حياته التي يمكن له أن يقصدها للتنفيس عن الذات و التفريغ، نفسية ــ طبيةــ اجتماعية كانت أو سياحية كالتي تشهدها مدن الجزائر عامة ومدينة مستغانم على وجه الخصوص؟ وعليه فإن سعي الباحثتين إلى محاولة فهم سرّ الاعتقاد الشديد بسيدي لخضر بن خلوف وسر تلك القناعة الروحيّة به أثار التساؤل التالي:

-هل لهيمنة لخضر بن خلوف الكاريزمية أثر على معتقد زواره وهو ما يدفعهم إلى ممارسة التبرك به والإيمان بقدراته؟

الفرضيات:

-هناك هيمنة رمزية على اعتقاد زوار سيدي لخضر بن خلوف تدفعهم إلى ممارسة التبرك والاستمداد به؟

أهداف البحث:

-محاولة فهم جزء مما يحدث في مجتمعاتنا من معتقدات وممارسات.

-محاولة معرفة أثر الهيمنة الرمزية والكاريزمية لضريح سيدي لخضر بن خلوف على المعتقد الجمعي.

-محاولة تسليط الضوء على المواضيع السيوسيو أنثروبولوجية لإثارة تساؤلات أعمق وغايات أبعد مستقبلا.

أهمية البحث:

من الإجحاف إنكار الحبر الكثير الذي أُسيل حول موضوع الأضـرحة بوجهات نظر متعددة ومتباينة، فمنها ما يدعو إلى تدعيم الاعتقـاد بتـأثير أصحاب الأضرحة وترسيخ مكانتهم في التراث الثقافي والحضاري لأن هذا التراث يعتبر سجلا لإبداع الأمم على مرّ التاريخ، وذاكرة حافظة لقيمها، كما أنها تمثل أحد مقومات هُويتها الحضارية وخصوصيتها التي تميّزها عن باقي الثقافات والحضارات المختلفة. ولذا نجد أغلب الدول تتسابق في الحفاظ على تراثها الثقافي، ليس هذا فقط بل تستحدث له من الوسائل والسياسات والإمكانات ما يحقق لها صيانة مستدامة لتاريخها وتراثها.

-اعتبار مؤسسة الضريح كنسق فرعي ضمن النسق الكلي يحتاج للبحث والدرس.

منهجية البحث:

إنّ الدّراسة الأنثروبولوجية لظاهرة معينة هو الاهتمام بالسلوك الإنساني في سياقه الاجتماعي والثقافي، الذي تحدث فيه تلك الظاهرة، فمن أجل دراستها بشكل جيد والإلمام بجوانبها المختلفة يتحتم على الباحث الانثروبولوجي أن يستخدم وسائل وأدوات محددة ليتمكن في الأخير من السّيطرة على موضوعه وانطلاقا من هذا وتماشيا مع طبيعة الموضوع وخصوصيّاته تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب تقنيتي الملاحظة والمقابلة.

مجالات الدراسة:

المجال البشري: انحصر المجال البشري في مجموعة من الزائرين والزائرات والمقدم القائم على الضريح والبعض من حفدته.

المجال المكاني: هو سيدي الأخضر بن خلوف بمدينة مستغانم.

المجال الزمني: حسب الاستطلاعات الميدانية للمنطقة الحضور الزمني بالضريح على مدى أيام الأسبوع لكن يلاحظ حضور كثيف جدا خاصة يوم الجمعة.وقد قمنا بزيارة المكان يوم الجمعة 30جوان 2017

تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه:

1-الضريح: Mausoleum

الضريح في الإطلاق اللغوي هو كلمة مشتقة من الفعل ضرح:"ضرحت الشيء إذا رميت به والضريح القبر يحفر من غير لحد كأن قد رمي فيه ميت"(ابن منظور،2008، ص،39).

يعتبر الضريح تشييدا معماريا له خصوصية مميزة له يبنى على قبر أحد الأشخاص الذي لهم مقام رفيع داخل المجتمع تخليداً لذكراهم، ويكون هذا البناء على شكل جرة صغيرة تعلوها قبة و" القبة هي بناء شاهق على شكل مخروطي أو نصف كروي يقام على الضريح"(الرازي، الصحاح 1329ه، ص85)

وقد ظهرت هذه الفكرة في الحضارات القديمة كالأهرامات التي بناها الفراعنة لدفن ملوكهم. وعليه يمكن القول إذن أنّ الضريح يجمع بين القبر والبناء المعماري المشيد فوقه، وله مكانة دينية تأخذ شكل المقدس يأخذ أهمية المدفون داخله.

التعريف الاجرائي: الضريح هو بناء يشيد فوق قبر الولي الأخضر بن خلوف، وهو عبارة عن حجرة مربعة شكل صغيرة نوعا ما، تعلوها قبة طلاؤها باللون الأخضر أو الأبيض، يقع هذا الضريح ببلدية سيدي لخضر نسبة للضريح، ويبعد عن مدينة مستغانم بمسافة تقدر ب 60 كلم

2-المعتقد الشعبي:

يعرف المعتقد لغويا من خلال العديد من المعاجم اللغوية على أنّه "العقد وهو نقيض الحلّ وعقده يعقده عقدا وتعقادا"(ابن منظور، 2008، مادة (عقد)، واعتقد في الأمر أي صدّقه،وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به،والمعتقد ما يعتقد الانسان من أمور الدين "(المنجد، ص517) والمعتقد الشعبي موروث مرتبط بالدين والدين أحد مركبّات النسيج الداخلي لأي مجتمع رغم ان هناك بعض المعتقدات لا تتخذ طابعا دينيا، إنّما ترتبط بالأعراف والعادات والتقاليد لذا لا يمكن بأيّ حال من الأحوال ان يخلو مجتمع من المجتمعات من منظومة المعتقدات، لهذا اطلق عليه لفظ شعبي،لأنه يخضع لنظام المجتمع،و"يراد بالشعبي ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب إمّا شكله أو مضمونه "(سعيدي، 1998، ص9)، احتلت هذه الممارسات والطقوس عقول الناس وشغلت حياتهم، وشغفت بها نفوسهم وملكت قلوبهم وصارت معتقدات، وأضحى التسليم بها والخضوع لحكمها من المسلمات والبديهيات التي لا يمكن أن يرقى إليها الشك، وقد أخذت هذه المعتقدات سبيلها إلى قلوب الناس ونفوسهم، عامتهم وخاصتهم، منذ بداية عمرها الطويل، في تعاقب الأجيال وتداول الأزمنة حتى رسخت في الوعي وأصبحت جزءاً هاماً من الوجدان الشعبي.

3-**الكرامة:** الكَرَامَةُ لغة: لكرامةُ: اسمٌ يوضَعُ للإكرام، كما وُضِعت الطَّاعةُ موضعَ الإطاعةِ، والغارةُ موضِعَ الإغارةِ، والمُكرَّمُ: الرَّجُل الكريمُ على كلِّ أحدٍ، ويقال: كرُمَ الشَّيءُ الكريمُ كرَمًا، وكرُمَ فلانٌ علينا كرامةً (ابن منظور، 2008، ص512.)

نخلص إذن إلى انّ الكرم صفة تقابل صفة اللؤم على وجه التضاد.

الكَرَامَةُ اصطلاحا:

أمرٌ خارقٌ للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي، تأييدًا له، أو إعانة، أو تثبيتًا، أو نصرًا للدين(السليمان،1413 ه، ص311).

التعريف الاجرائي: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص له من التقوى والإيمان والعمل الصالح ما يسمح له برؤية بعض الأمور الغيبية دون أن يكون نبيًّا من الأنبياء.

الولي سيدي لخضر بن خلوف شخصية كاريزمية:

1-الولي سيدي لخضر في المخيال الشعبي:

تُحيلنا عبارة المخيال الشعبي إلى الصّورة الذهنية التي يكوّنها المعتقد الشعبي حول وليّ من أولياء الله الصلحاء "فهي صفة لكل ممارسة كانت مادية أو معنوية متصلة اتصالا عضويا بالشعب "(سعيدي، 1998، ص5)، وفي رسالة بن معمر بو خضرة (الولي في المخيال الشعبي) يعرف لنا المخيال بأنّه "يشكل أهم مخزون حامل لإرث ثقافي وديني.

وقصص الأولياء عموما تمثل الجزء الأهم والاعتقاد بها يتخذ عدة أشكال، كما سنرى مع سيدي الأخضر بن خلوف، وعليه فالظاهرة كجزء من الكلّ تعرف على أنّها اعتقاد جمعي شعبوي واجتماعي له القدرة على التخفي والظهور" (بو خضرة، الولي في المخيال الشعبي، ص 27)

إنّ طبيعة الكرامة والأسطورة تكاد تكون متطابقة ذلك لأنّ كليهما مرجعية تاريخية دينية ولو كانت تحاكيها، "فالكرامة مرتبطة بالدين والظواهر الكونية ورجال الدين عبر التاريخ " (زيعور، 1977، ص27).

وسيدي الأخضر بن خلوف، أمير المرابطين ومؤلف القصائد الصوفية كثيرة، في مدح سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وأصبحت قصائده مرجعا للكثير من الفنانين الجزائريين سواء الفن الأندلسي أو الشعبي.

يعد ضريح سيدي لخضر بن خلوف قِبلة للجميع من داخل الوطن ومن خارجه وليس فقط سكان مدينة مستغانم، وأول ما يستقبلك فور الدخول الى الباحة التي يرقد بها سيد لخضر تستقبلك نخلته التي تنحني في استحياء وكأنها ترحب بالزائرين لترتفع مجددا شاهقة باسقة في كبرياء منقطع النظير وكأنها تنم عن عين ساهرة حارسة للولي الصالح سيدي لخضر بن خلوف ممتدة باحثة عن روحه في السماء، وغير بعيد عن مرقد الولي، توجد خيمة الشعر، أين كان ينظم قصائده في مدح الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم،لمدة خمس وثمانين سنة (كما روى لنا المقدم واحد حفدته كما يقول.)حيث قال فيه- صلوات الله عليه -: (http://www.vitaminedz.org/01 جويلية 2017 على الساعة 18.14)

صلي الله علي صاحب المقام الرفيع
والسلام علي الطاهر الحبيب الشفيع
قدر الداعي والمدعي ومن هو سميع
قدر الشاري في السوق ومن جا يبيع
قدر الطايع للحق راه في أمره سميع
قدر ما قبضت اليد الكافلة بالجميع
قدر الحلفة والدوم والزرع والربيع

كما توجد بعض الغرف الشاغرة والتي يستعملها الزوار لإقامة الوعدة داخلها، إضافة إلى مكتبة، مسجد ومدرسة قرآنية لتعليم القران وتحفيظه، وبالقرب من النخلة يوجد قبر الحاج محمد العلوي الإدريسي، العالم والولي الصالح المغربي الأصل، والذي طلب أن يتم دفنه بجانب الضريح (انظر الصورة رقم 1 في الملحق).

ولد الولي الصالح سيدي الأخضر بن خلوف واسمه الكامل لكحل بن عبد الله بن مخلوف، في أواخر القرن الثامن هجري، وتوفي في أوائل القرن العاشر للهجرة، وبالتالي فقد عاش كل القرن التاسع الهجري، حيث توفي عن عمر 125 سنة وستة أشهر، وهو من أصل مغربي من الساقية الحمراء (هذا ما رواه لنا مقدم القائم على ضريح سيدي لخضر بن خلوف).

شبّ سيدي لخضر بن خلوف على حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ سيدي بويحيى، شارك في عدة معارك وكان النصر حليفه في الكثير من المعارك كمعركة "شرشال" التي كلفه فيها السلطان

خير الدين، بتجنيد المقاتلين ودعوتهم إلى توحيد الصفوف للتصدي للعدو، معركة "مزغران" التي وقعت أحداثها يوم 22 أوت 1558، وتمت ترقية سيدي لخضر، إلى رتبة "ماريشال" بعدما تمكن من قتل الجنرال الذي كان يقود المعركة، وهذه الحرب مدونة في قصائد سيدي لخضر، حيث إن شعره لم يقتصر على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بل شمل الحكمة والحماسة والفخر والتوحيد وحتى الحروب التي خاضها وكان بطلها، أما معركة "تنس" فانتهت قبل أن تبدأ، حيث لاذ الأعداء بالفرار عندما سمعوا بقوة هذا الرجل وجنوده وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على التأثير الخفي لشخصية سيدي لخضر الذي أرهبَ العدوّ رغم أنّه كان ضعيف البنية كما يقال .

ومما ذكره لنا مقدم الولي، أن سيدي الأخضر بن خلوف اكتسى صبغة صوفية بتأثير من الولي الصالح سيدي بومدين الشعيب، كما ساهم هذا الأخير في توجيه ملكته الشعرية نحو مدح النبي عليه الصلاة والسلام، والذي يؤكد أنه رآه في المنام 99 مرة، -وهي نفس الرواية التي يتناقلها الزوار جيلا عن جيل-وقد وردت هذه الحادثة في احدى قصائده حيث يقول:

دخلت تلمسان بنهار الجمعة في جبل حنيف بت ساجد طول الليل
غير أنايا وسبحتي طلع عليا الصبح واديت السنة
لا حالة كيف حالتي تفكرت اصحاب قانتي في مزغنة
يوم الجمعة طلعت ساري للعباد ثما نادي وهب لي بومكحلة
نصيب مغارة مجاورة سيدي عباد وكفيت علي السجود ما لاح للقبلة
ونظرت خيال جاي يفرفد كالفرفاد يا محسنه بزين مكمول الطولة
ومكنت له بريتي منين فراها انا وإياه تسالمنا
وعجباته جماعتي قضيت منه مسايلي وتعاهدنا
بتنا متذاكرين الليل وما طال علي دين النبي أحمد طه المبرور
قال أنا بومدين أصلي من الأفضال في الأندلس همتي فيها مذكور
قلت أنا بن خلوف مداح المرسال هاويني بالحديث يا مصباح النور
كي ينظر في صيفتي يوجدها نحيلة سقيمة من الامحانا
من فراق اولادي وغربتي بعد كمال الحديث هب لي اليد اليمني
بعد كمال الحديث قالي يا لكحل خوذ الأمانة وسير بها بإذن الله
مية وعشرين شيخ من والي كامل طبعولك بالنصيف ها الكاغط اقراه
وتمم الختمة الشفيع المفضل سقاك بالسر الزمزمي رسول الله
اديت منه أمانتي وثنيت علي الرحول بعدما تعاهدنا
وشديت اطراف ناقتي مع بومدين بكيت يوم تفارقنا

ويتجلى مدحه للرسول في إحدى قصائده التي يقول فيها:

85 سنة وأنا على الحبيب ذراعي
ما يخوفني سرار قلتة ولا دق الملازم،
لخضر من سور بنعايم"

ومعناها أنه وصل عند الله ومن كثرة حبه للنبي كان يتخيله في منامه (بخوشة محمد بن الغوث،1958، ص42). وفي قصيدة أخرى يقول:

"سعدي بالنبي جا عندي،
فالدار في خيمة الشعر،
هذا نور محمد مصباح الدعا،
سعدي بالنبي جا عندي 99 رؤية
ومازال العاطي يعطي،
في اليقظة شاهدنا جبريل، تعانقنا وتسالمنا".

2-بعض كرامات سيدي لخضر بن خلوف:

من أكثر الكرامات التي رواها الكثيرون عن سيدي الأخضر بن خلوف، والتي بينت قيمته ومركزه، ومزيته، هي قصة النخلة الشهيرة وخيمة الشعر. بالإضافة الى ما نسج حوله من أساطير تمجّده، تمدّدت عبر الزمان والمكان، جيلا عن جيل حتى أصبح سيدي لخضر محاطا بهذه الهالة التقديسيّة التي تلازمه لغاية الساعة، والتي جلبت إليه الزوار بهذا العدد الكبير يحجّون إليه من كلّ فجّ عميق، ومن داخل وخارج الوطن، حتى الحكام والسلاطين داخل الوطن وخارجه ومن دول أخرى، وما يزيد الامر غرابة أنّه تنبّا بكلّ هذا قبل موته (حسب رواية أحد حفدته) وقد ورد ذلك في قصيدته على حد تعبير مقدم الضريح حيث يقول:

.....يخدمني من في البر والبحر
ويوصلني ولو كان سلطان زمانه

-النخلة الشهيرة:

لعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أنّ أكثر المناظر التي سحرت الألباب وروّعت النُّهى، ذلك المنظر العجائبي والغرائبي للنخلة التي طرحت فينا أكثر من سؤال وسؤال، ولعل أكثره إلحاحًا لدينا هوّ ما سرّ هذه النخلة العنقاء؟ وكيف لها أن تنبت في منطقة ساحليّة كمستغانم؟ والمعروف أنّ النخيل يتكيف مع الطبيعة ذات المناخ الصحراوي الحار؟

أول ما اقتربنا منها وانتبه الزوار للحيرة التي انتابت بعضنا خاصة وأنّ هناك من لم يرها قط، اقتربنا من شيخ كبير في السّن في العقد الثامن من عمره يقول أنّه من أحفاد سيدي لخضر بن خلوف، و سألناه عن سرّ هذه النخلة التي تقبع عند المقام،وكأنها حارسه الشخصي، فأوضح لنا الشيخ أنّ النخلة فعلا تحرس الضريح، وهذا كما روته الأساطير التي نحفظها ونتداولها جيلا عن جيل ، فقد روي عن سيدي لخضر بن خلوف انّه تنبأ بموته في فترة معينة وأوصى بأن يدفن في هذا المكان (أي المكان الذي يرقد به حاليا)، كما تنبأ بوجود هذه النخلة قربه بعد مماته،ما جعلها نخلة خالدة منذ أمدٍ، وأضاف الشيخ أنّ الإرهاب حاول قطعها خلال فترة العشرية السوداء، لكنهم عبثا يفعلون فالله حماها والدليل أنّها لاتزال شامخة شاهقة شاهدة على تاريخ سيدي لخضر، كعين ساهرة تحرس ضريحه من أي مكروه، ثم أخذ ينشد لنا ما قيل حول هذا الأمر "النخلة المثبتة من بعد اليبوس، حذاها يكون قبري يا مسلمين'.. .

2-خيمة الشعر

ذكر لنا المقدم المكلف بالضريح (أنظر الصورة رقم 7 في الملحق) أنّ خيمة الشعر هي مكان مبارك حيث تستجاب دعوة الداعي، لأن ّهذا المكان هو نفسه الذي التقى فيه سيدي لخضر بن خلوف بالرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه تعانق مع سيدنا جبريل عليه السلام. ثم أنشد لنا إحدى قصائده حول هذه الحادثة:

فالدار في خيمة الشعر
هذا نور محمد مصباح الدعا
سعدي بالنبي جا عندي 99رؤية
ومازال العاطي يعطي
في اليقظة شاهدنا جبريل، تعانقنا وتسالمنا

لذلك أضحت قبلةً يقصدها العديد من الأشخاص كبارا وصغارا، منهم من يطلب عملا، وبمنهم من يطلب رزقا، وآخرون يريدون أن تصبح تجارتهم مباركة، وآخرون يطلبون زيجات صالحة....وغيرها من الطلبات، وقد تمتد أيادي الزوار إلى كل ما شملته قداسة المكان من تراب أو حجارة أو شمع وغيره وهناك من يقوم بربط الحجارة بالحنّاء ويحملها الشخص دائما معه وهي دليل على فأل خير .

3-سيدي لخضر شخصية كاريزمية:

يساهم الاعتقاد في القدرات الخارقة والمهارات التي يتمتع بها الولي في وجود الهيمنة الكاريزميّة،أو السلطة الكاريزمية و التي يراها البعض الملجأ والملاذ الذي يحتمون تحت فَيْئِه وكأنّه المُخلّص لهم من الغبن والهموم التي يعيشونها، وهو تماما ما لمسناه عند بعض الزوار الذين قابلناهم، حيث يعتقدون في سلطة سيدي لخضر بن خلوف، فحضوره الرّوحي يخفف آلامهم ويحقق آمالهم "بحيث تلتقي مع آليات المقدس في علاقته بالمؤمن"(مجموعة باحثين، 1994،ص،81)، حيث تتجسد الكاريزما التي يتصف بها سيدي لخضر في تلك الهالة من التقديس التي تحيط به، فكل شيء حوله مقدس التراب، قطع القماش،الشمع،الصخر، والماء والهواء والشجر وحتى كل ما يباع من عروض تجارية هناك يكتسي طابع التقديس وقد ذكر لنا احدهم قائلا : "ان سيدي لخضر بن خلوف مات وترك الجميع يسترزق فلا خوف عليهم ولا هم يحزون، سيدي لخضر إمام الفقراء ونصير الجوعى حاضر في كل مكان وزمان "إنّ هذه القوة الروحية والمادية هي قوة فعلية تعبر عن نفسها بقوة ووضوح من خلال سيلانها في الموضوعات المادية "(السواح ، 2002 ،ص181)،ثم إنّ سيدي لخضر بن مخلوف شخصية كاريزيمة يشكل شارة طوطميّة ليست مقصودة لذاتها وانّما للقابع من خلفها والمتجسد في تلك الأفكار والروايات والأساطير التي نسجت حوله وأعطته هذه الهالة من التقديس لها مغزى روحي وديني ودنيوي.

فكلّ ما نسجته الذاكرة الشعبية حول شخصية سيدي لخضر بن خلوف كان له أثر في تكوين صورة القداسة في المخيال الشعبي، حيث يظهر تفاعل بين رمزية الضريح في فضائه الروحي والمعماري وبين الشخصية الكاريزمية الروحية للولي، ما تجلى في مختلف الطقوس والممارسات التي لاحظناها أثناء زيارتنا سواء داخل القبة أو خارجها، بدءًا من ارتداء لباس محتشم وتغطية الشعر، ثم نزع الأحذية عند مدخل المرقد والذي يحيلنا إلى قداسة وطهارة المسجد

والذي لزاما علينا أن نتجرد من أحذيتنا قبل ولوجه،ثم الى الطواف حول الضريح وما لها من دلالة سيميولوجية تتجلى في تلك القوة الفوق الفوق طبيعية والتي يشعر بها الزوار ويعتقون فيها فور كمال وتمام الطواف وهذا ما لمسناه خلال اجراء الملاحظة عن طريق ملاحظة سلوكيات وممارسات بعض الزوار حين أصرّت بعض الزائرات على إكمال الطواف والدورة الكاملة حول الضريح رغم أنّ المقدم كان يحاول منعهن من اختراق مجال الكاميرات التي كناّ نستعملها في الزاوية الذي يكان يجلس بها مقدم الضريح، وهذا الإصرار حسبهنّ هو نتيجة خوفهن من عدم استجابة سيدي لخضر لدعائهن، وبالتالي لا يتحقق مطلبهن .إنّه اعتقاد بحضور قوة الضريح الحيويّة التي تجوب المكان. وقد سجلنا بعض الخصائص المرتبطة بالولي سيدي لخضر من خلال بعض المقابلات التي اجريناها مع بعض الزوار من مختلف الفئات العمرية والجنسية،حيث تبين لنا انّ الولي كرمز دال في المخيال الشعبي له القدرة على شفاء المرضى، وهذا المرض قد يكون مسٌّ من الجن أو العين أو بكاء الأطفال و والعقم ...كل الامراض التي قد لا يفقه الطبّ فيها شيء وتستعصي عليه،كما يمكن لسيدي لخضر أن ينتقم من الظالم ويرد المظالم لأهلها، كما له قدرة في نيل الخير والبركة والرزق والرضا الإلاهي فقط بإخلاص النية و(النية) هي الكلمة التي تكررت عند كل من قابلناهم حيث لا يفتأون يذكِّروننا قائلين :(مول النيّة حاجته مقضية) أي قضاء الحاجة مرتبط بإخلاص النيّة في قدرة الوليّ.

خاتمة:

وجملة القول إذن أنّ الخصائص المذكورة وصفات الولي المحفورة في الذاكرة الشعبية تدل أنّ لسيدي لخضر بن خلوف شخصية كاريزمية تظهر هيمنتها على الفضاء المقدس، وأنّ روحه لا تفارق المكان الذي دفن فيه، وبالتالي يجمع الولي بين المادي ممثلا في الضريح واللاّمادي ممثلا في روح الولي، هذا التفاعل بين الضريح كقطب رمزي دال وبين الولي كمدلول، يُقِرُّ بوجود أيديولوجيّة شعبيّة تعترف بوجود قوة لامادية رمزية وهمية تتمثل في سيدي الأخضر بن خلوف.

الملاحق:

صورة رقم (1) ضريح سيدي بوفرمة الحاج احمد (1859، 1970)عمره 114سنة

الصورة رقم (2) ضريح سيدي لخضر بن خلوف

صورة رقم (3) مكتب لجنة حي ضريح سيدي لخضر بن خلوف

صورة رقم (4) مدرسة قرآنية

الصورة رقم (6) مسجد سيدي لخضر بن خلوف

صورة رقم (5) وسط مسجد سيدي لخضر بن خلوف

صورة رقم (8) غرف شاغرة مخصصة الصورة رقم(7) خيمة الشعر
لإقامة الوعدة بضريح سيدي لخضر بن خلوف

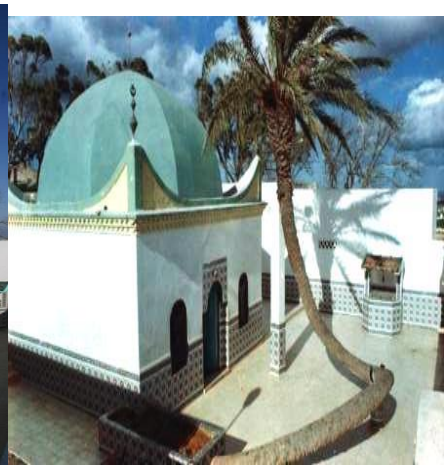

الصورة رقم (9) النخلة التي امام مقام سيدي لخضر بن خلوف

الصورة رقم (10) المقدم القائم على ضريح سيد الأخضر بن خلوف وهو أحد حفدته

NOTE SUR LE POÈTE LEKHAL BEN KHELOUF DIT LAKHDAR.

Sidi Lakhal Ben Khelouf est né de l'union de son père Abdelah (d'origine chérifienne soit disant) et de sa mère Koula (D'origine Chérifienne, descendante de Sidi Yacoub). Il épousa une Chérifa, descendante de Sid Affif ayant le nom de Guennou.

Son maître fut Sidi Bouyahia dont la tombe est sise non loin de celle de Sidi lakhdar au sud, toutes sise aux Ouleds khlouf Souahlia commune mixte de cassaigne.

La tradition dit qu'il fut Makhazni (Cavalier) au service du bey de Mostaganem, il lui arrivait a son tour de porter le courrier de ce bey à Alger, le trajet qu'il parcourait s'arréta aux Ouled - Farés (commune du Chéliff Orléans Ville campés prés de l'oued Ouahrane....

Il pris part en sa qualité de Makhanzi, a la batail livrée par Hassan Pacha d'Alger, accouru au secours de Mazagran, et de Mostaganem (le 22 ou le 26 Août 1558.) (Histoire d'Oran) avant, pendant et après la domination Espagnole par Henri Léon fery, Comis a la direction du génie d'Oran.

Edition, en 1858 aux Espagnols commandés par le comte d'alcamdite gouverneur d'Oran à cette époque.

La participation de Sidi Lakhdar à cette bataille ne fait aucun doute car il dit dans son récit (poème de cette batail),

« Nous les avons acculés à la muraille, en ce jour et un peu plus loin :

« Et en ce jour, nous fimes ce qui devait être fait ·

Date approximative de sa naissance et de sa mort : En admettant qu'a la bataille de Mazagran, Mostaganem, il était âgé de 35 ans, il serait né donc vers 1523.

Il aurait vécu ou pendant plus de 100 ans, 105 ou 110 ans, années hégiriennes) d'aprés les dires de ses descendants actuels, ce qui donnerait 97 ans comptés en années Grégoriennes.

Sa mort remonterait donc vers 1620 ère de J. Christ, d'après ces dates, il serait né aux XVI$_e$ siècle et mort au commencement du XVII$_e$ siècle.

Sidi Lakhdar fut poète religieux et historien, son oeuvre est très vaste, il écrivait lui même ses poèmes tant que age lui permis de le faire, vieux, il les dictait a de nombreux Tolbas qui vivait au tour de lui.

Les turcs construisaient une Kouba sur sa tombe plus tard le Khalifa du Chéliff et de la mina époque Française : Laribi Mohamed Ben Abdelah ordonna aux Caïdi des Ouleds Affif d'entourer cette Kouba d'un mur d'enceinte et de construire quelques chambres a l'intérieur de cette enceinte, quatre chambres y furent édifiées.

L'administration Française fit refaire ces chambres, en 1902 et en ajouta quatre autres surmontées de petites tours une a chaque coin de la cour

Le mokadem et ouleds Sidi Lakhdar
Le 21 Mai 1933

قاضي الحاج مصطفى
باحث في التاريخ ،التراث ،السياحة و البيئة
ت : 07.93.65.62.54 سيدي لخضر 27350 مستغانم
Facebook et Email :
kadi-mustapha@hotmail.co

قائمة المراجع:

1.ابن ابي بكر الرازي(1329ه)، مختار الصحاح، المطبعة الكلية، مصر، ط1.
2.ابن منظور(2008)، لسان العرب، تح: خلد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ج8، ط1.
3.المنجد(دس)، دار المشرق، بيروت.
4.بخوشة محمد بن الغوث(1958)، ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، شاعر الدين والوطن، مطبعة الشمال الافريقي، الرباط.
5.بن معمر بو خضرة(2012-2011)، الولي في المخيال الشعبي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، اشراف–سعيدي محمد –كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تلمسان.
6.جموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين(1413 ه)، ج4، جمع وترتيب فهد السليمان، دار الوطن للنشر.
7.سعيدي محمد(1998)، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
8.علي زيعور(1977)، الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم القطاع اللاوعي في الذات العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1.
9.فراس السواح(2002)، دين الإنسان، دار علاء الدين، سورية، ط 4.
10.مجموعة باحثين(1994)، الانسان والمقدس، دار محمد علي الحامي، تونس، ط 1.
11.http://www.vitaminedz.org/18.14 01 جويلية 2017 على الساعة